Journal Of the Iraqia University (74-10) February (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

# تفاوت السمع والاستماع في القران ما الفرق بين السمع والاستماع في القران الكريم

**مجتـــبى بيكلرى**

***استاذ مساعد, قسم الالهيات, كلية الاداب و العلوم الاسانية, جامعة الرازي, كرمانشاه,ايران**

**اوركيد: m.b1339@gmail.com**

**امير ياره محمد**

**طالب ماجستير, قسم الالهيات, كلية الاداب و العلوم الاسانية, جامعة الرازي, كرمانشاه, ايران, (المؤلف المسؤول)**

**اوركيد: ٠٠٠٩-٠٠٠٦-٩٠٠٧-٢٤٤٧**

**ameeryaramohammed@gmail.com@razi.ac.ir**

## الملخص

يُعدّ التمييز بين مفهومي السمع والاستماع في القرآن الكريم من القضايا اللغوية والبلاغية المهمّة التي تكشف عن دقّة التعبير القرآني وثرائه الدلالي. فالسمع في الاستعمال القرآني يدل غالبًا على القدرة الحسيّة الفطرية التي يملكها الإنسان بوصفها نعمة من الله تعالى، وهو يشير إلى التلقّي غير المقصود للأصوات. أمّا الاستماع فيأتي ليعبّر عن الإنصات الواعي والقصد إلى الفهم، وهو فعل إرادي يدل على مشاركة العقل والقلب في عملية التلقّي. وتُظهر آيات القرآن أنّ السياقات التي ورد فيها السمع ترتبط بالابتلاء، وبيان النعمة، ووصف حال الكافرين الذين لم ينتفعوا بحواسهم. بينما يُوظَّف الاستماع في سياقات الهداية، وتلقّي الوحي، وفهم الحق، والمدح للذين يُصغون إلى القول فيتّبعون أحسنه. ومن خلال التحليل اللغوي والسياقي للآيات يتبيّن أن الفرق بينهما ليس لغويًا فحسب، بل يحمل دلالات تربوية وروحية تؤكد أهمية الانتقال من مجرّد السمع إلى مقام الاستماع المؤدي إلى الهداية والعمل.الكلمات المفتاحية:السمع؛ الاستماع؛ القرآن الكريم؛ الدلالة اللغوية؛ الإعجاز البياني؛ مفهوم السمع في القرآن؛ مفهوم الاستماع في القرآن.

Abstract

The distinction between hearing (al-samʿ) and listening (al-istimāʿ) in the Holy Qur’an represents an important linguistic and rhetorical aspect that highlights the precision and richness of Qur’anic expression. In Qur’anic usage, hearing generally refers to the innate sensory ability granted to humans, indicating the passive and involuntary reception of sounds. Listening, on the other hand, denotes attentive and deliberate engagement, involving intention, reflection, and emotional responsiveness. Qur’anic verses show that hearing is often associated with testing, reminding of divine blessings, and describing those who fail to benefit from their senses. Meanwhile, listening appears in contexts of guidance, receiving revelation, understanding truth, and praising those who attentively follow the best of what they hear. A linguistic and contextual analysis demonstrates that the distinction goes beyond semantics and carries profound spiritual and educational implications, emphasizing the transition from mere hearing to purposeful listening that leads to guidance and righteous action.Keywords: Hearing; Listening; Qur’an; Linguistic semantics; Rhetorical inimitability; Sensory perception in the Qur’an; Qur’anic guidance.

## المقدمة:

### أولاً: بيان المسألة

يُعدّ التمييز بين مفهومي السمع والاستماع في القرآن الكريم من الموضوعات اللغوية والدلالية التي تستحق العناية العلمية؛ ذلك أنّ القرآن استخدم الألفاظ بدقّة بالغة، واختار لكل مقام لفظًا خاصًا يتناسب مع السياق. ويظهر من تتبّع الآيات أن لفظ السمع لا يأتي بمعنى واحد، بل يتراوح بين الدلالة الحسيّة الطبيعية التي يمتلكها الإنسان، ودلالة الإدراك العام للأصوات، في حين أن لفظ الاستماع يقترن غالبًا بقصد الإصغاء، والانتباه

الواعي، والتدبّر القلبي والمعرفي. ومع أنّ اللفظين يجتمعان في المجال السمعي، فإنهما يفترقان في الوظيفة والغاية؛ فالسمع غالبًا تلقٍّ سلبي، أما الاستماع فهو فعل اختياري يتطلّب جهداً إرادياً. ومن هنا تتجلى المشكلة البحثية: ما الفروق الدلالية والوظيفية بين السمع والاستماع في القرآن؟ وكيف يوظّف النص القرآني هذا التمايز لخدمة مقاصده التربوية والبيانية؟ إن تحديد هذه المسألة يُسهم في فهم أعمق لطبيعة الخطاب القرآني، ويكشف عن دقة استعمالاته البيانية.

## ثانياً: ضرورة البحث

تبرز أهمية هذا البحث من الحاجة الأكاديمية إلى فهم الدلالات العميقة للألفاظ القرآنية، ولا سيما تلك التي تتعلق بالحواس والإدراك، لما لها من علاقة مباشرة بالهداية والضلال في النص القرآني. فالتمييز بين السمع والاستماع ليس مجرّد اختلاف لغوي، بل هو مفتاح لفهم السلوك الإنساني في القرآن، إذ يرتبط السمع بالنعمة والتكليف والابتلاء، بينما يرتبط الاستماع بفعل الهداية والتفاعل الداخلي مع الحق. كما أن الدراسات الحديثة في علوم اللغة والبلاغة القرآنية أشارت إلى أن البناء الدلالي للألفاظ له أثر مباشر في تفسير النص واستنباط المعاني. ومن هنا تبرز ضرورة هذا البحث لسدّ فراغ معرفي قائم يتمثل في قلة الدراسات التي تعالج الموضوع معالجة مقارنة تجمع بين التحليل اللغوي والبلاغي والتفسيري. كما أن الواقع المعاصر يشهد تراجعًا في مهارة الإصغاء وفهم الخطاب، مما يجعل إبراز مفهوم الاستماع القرآني ذا قيمة تربوية وروحية معاصرة. وبالتالي، فإن البحث ضرورة علمية وتطبيقية لفهم معاني القرآن وتفعيلها في السلوك الإنساني.

## ثالثاً: أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والمعرفية، في مقدمتها تحديد الفروق الدلالية الدقيقة بين مفهومي السمع والاستماع كما وردا في القرآن الكريم، من خلال تحليل استعمالاتهما في ضوء كتب اللغة والتفسير. كما يسعى إلى كشف البنية البلاغية التي يقوم عليها الاختلاف بين اللفظين، وبيان كيف يوظّف القرآن هذا التمايز لخدمة مقاصده الهداية والتوجيه. ويهدف البحث كذلك إلى تصنيف الآيات التي ورد فيها السمع والاستماع، ثم تحليل سياق كل منها لبيان دلالة اللفظ في موضعه. إضافة إلى ذلك، يتطلّع البحث إلى إبراز الأبعاد التربوية والإيمانية المترتبة على فهم هذا الفرق، وكيف يمكن أن يسهم في بناء الوعي القرآني لدى الدارسين. كما يهدف إلى تقديم نموذج تطبيقي يدمج بين الدراسات اللغوية والبلاغية والتفسيرية، ليكون مرجعًا مساعدًا للباحثين في الدراسات القرآنية.

## رابعاً: منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي بوصفه المنهج الأنسب لدراسة الألفاظ القرآنية ذات الأبعاد الدلالية والبيانية؛ إذ يقوم على جمع المادة العلمية المتعلقة بالسمع والاستماع من القرآن الكريم، ثم وصف استعمالاتهما وتصنيفها وفق سياقاتها المختلفة. كما يستخدم البحث المنهج اللغوي الدلالي لتحليل الجذور اللغوية للفظين، وبيان التحوّلات الدلالية التي تطرأ على كل منهما بحسب السياق. ويستفيد كذلك من المنهج البلاغي في تفسير العلاقات السياقية والبيانية التي جعلت القرآن يختار لفظ السمع في موضع، والاستماع في موضع آخر. ويعتمد البحث على الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة، وكتب غريب القرآن، والمعاجم اللغوية، والدراسات الحديثة في علم الدلالة. كما يتضمن جانبًا مقارنًا بين الآيات التي ورد فيها اللفظان، بهدف استخراج الفروق الوظيفية والبلاغية. وبهذا تتكامل المناهج لخدمة الهدف العام للبحث وإبراز دلالات النص القرآني على أكمل وجه

## المبحث الأول المفاهيم اللغوية والدلالية للسمع والاستماع

ان الوقوف على المفاهيم اللغوية والدلالية للألفاظ القرآنية خطوة أساسية في أي دراسة تهدف إلى فهم دقيق لأساليب التعبير في القرآن الكريم. ومن بين هذه الألفاظ التي شغلت حيّزًا مهمًا في الخطاب القرآني: السمع والاستماع، وهما لفظان يجتمعان في الدلالة الحسية المرتبطة بحاسة السمع، إلا أنّ القرآن الكريم فرّق بينهما تفريقًا دقيقًا من حيث الاستخدام والسياق والوظيفة الدلالية. فلفظ "السمع" جاء في مواضع عديدة للدلالة على القدرة الإدراكية العامة التي يهبها الله للإنسان، وعلى التلقّي الطبيعي للأصوات، وأحيانًا يُستعمل للدلالة على عدم الانتفاع بهذه الحاسة رغم وجودها. بينما جاء لفظ "الاستماع" مقرونًا في الغالب بالإصغاء الواعي، والانتباه القلبي، والإنصات المقصود الذي يعكس مشاركة العقل والوجدان في عملية التلقّي.وتنبع أهمية هذا المبحث من أنّ فهم هذه الفروق يتطلّب العودة إلى الجذور اللغوية للفظين، والتمعّن في تطوّر دلالاتهما، واستقراء المواضع القرآنية التي وردا فيها. وبذلك يمهد هذا المبحث الأساس العلمي الضروري للانتقال إلى تحليل الفروق الدلالية والبيانية اللاحقة بين السمع والاستماع، وإدراك كيفية توظيف القرآن لهذا التمايز في بناء المعاني التربوية والروحية.

### المطلب الأول: مفهوم السمع في اللغة والقرآن الكريم

يُعدّ مفهوم السمع من المفاهيم المحورية في البنية الدلالية للقرآن الكريم، إذ يتجاوز الإطار الحسي ليعبّر عن إدراك معرفي وروحي يحمّل الإنسان مسؤولية الاستجابة للحق. ويعتمد تحديد هذا المفهوم على دراسة الجذر اللغوي للفظ في المعاجم العربية القديمة، ثم تحليل دلالاته في السياقات القرآنية. وتُظهر الدراسات اللغوية والتفسيرية أنّ القرآن يربط السمع بالهداية، وبالتكليف، وبالتمييز بين من يسمع سماع إدراك ومن يسمع سماع حجة. كما تكشف آيات كثيرة أنّ السمع نعمة ووسيلة وعي، وأن تعطيله يؤدي إلى الضلال والغفلة. ويأتي هذا المطلب لبيان الأسس اللغوية والشرعية التي يرتكز عليها استعمال لفظ السمع في القرآن، وذلك في ضوء ما قدمته المصادر التراثية والمعاصرة من تحليلات (ابن منظور، ١٩٩٣؛ ابن فارس، ١٩٧٩؛ الطاهر بن عاشور، ١٩٨٤).

**الفرع الأول : الجذر اللغوي للفظ السمع ودلالاته في العربية**يرتبط لفظ السمع بالجذر الثلاثي (س م ع)، وهو جذر واسع الانتشار في اللغة العربية، ويشير في أصله إلى إدراك الصوت عبر الأذن، وهو ما تثبته أهم المعاجم التراثية. فقد ذكر ابن فارس (١٩٧٩) أنّ السمع أصل يدل على إدراك الأصوات، ثم تتفرع منه دلالات تتعلق بالطاعة والقبول والاستجابة. وأورد ابن منظور (١٩٩٣) في لسان العرب أنّ السمع قد يُستعمل بمعنى الفهم، وبمعنى الإجابة، وبمعنى القبول، مما يعكس الامتداد الدلالي الواسع لهذا اللفظ. كما أشار الفيروزآبادي (١٩٩٦) إلى أن العرب قد تستعمل السمع للدلالة على الطاعة، كما في قولهم "سمعاً وطاعة". وتُظهر هذه المعاني أن الجذر اللغوي للفظ السمع يتسم بالثراء، وهو ما مهّد للاستعمال القرآني الذي زاوج بين الدلالة الحسية والدلالة المعنوية ذات البعد الروحي والمعرفي. وبذلك فإن فهم الجذر اللغوي يُعدّ مدخلاً أساسياً لفهم استعمال اللفظ في النص القرآني.

**الفرع الثاني : دلالات السمع في القرآن الكريم ومواضع وروده**يحمل السمع في القرآن الكريم دلالات متعددة تتجاوز البعد الحسي إلى أبعاد معرفية وتكليفية وروحية. فقد جاء في سياقات تُبرز أنّه نعمة إلهية تُذكّر الإنسان بمسؤوليته في إدراك الحق، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ (النحل ٧٨).كما ورد في سياقات الابتلاء والتكليف التي يُدان فيها من يعطل سمعه عن إدراك الحجّة، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (الأعراف ١٧٩).وتشير كتب التفسير إلى أن السمع في القرآن مرتبط بالوعي، فهو الوسيلة الأولى لتلقي الوحي؛ لذلك قُدّم على البصر في مواضع كثيرة (الطبري، ٢٠٠١؛ ابن كثير، ١٩٩٨). كما أوضح الطاهر بن عاشور (١٩٨٤) أن السمع في القرآن يشمل الإدراك الحسي والعقلي، وأن تعطيله يعكس انحرافاً في قابلية الإنسان للهدى. وبذلك فإن القرآن لا يقدّم السمع كوظيفة بيولوجية فقط، بل كقناة أساسية للمعرفة تؤثر في موقف الإنسان من الإيمان والضلال.

## المطلب الثاني: مفهوم الاستماع في اللغة والقرآن الكريم

يمثّل مفهوم الاستماع أحد المفاهيم المركزية في الخطاب القرآني، بوصفه نشاطًا إدراكيًا مقصودًا يتجاوز مجرد تلقي الأصوات إلى المشاركة الواعية في عملية الفهم والتدبر. وتُظهر الدراسات اللغوية أنّ الاستماع يحمل بُعدًا إراديًا يتضمن توجيه الانتباه نحو المتكلّم بقصد تلقي المعنى، وهو ما يجعله مختلفًا جذريًا عن السماع الذي قد يكون غير مقصود أو عابرًا. أما في القرآن الكريم، فإن لفظ الاستماع يُستعمل في سياقات الهداية، وتلقي الوحي، والإنصات للحق، مما يعكس قيمته التربوية والدينية. ويهدف هذا المطلب إلى تحليل المفهوم من خلال العودة إلى جذوره اللغوية، ثم استقراء مواضع وروده في القرآن الكريم للكشف عن وظيفته البيانية والروحية. إن هذا التحليل يساعد في فهم العلاقة بين الإدراك الحسي والمعرفي، ويبيّن كيف يوظّف القرآن مفهوم الاستماع لتشكيل الوعي الإيماني وتعزيز معنى التدبر.

**الفرع الأول : الجذر اللغوي للفظ الاستماع ودلالاته في العربية** ينحدر لفظ الاستماع من الجذر الثلاثي (س م ع) ذاته، إلا أنّ صياغته على وزن "استفعال" تضفي عليه معنى الطلب والقصد، أي طلب السمع. وقد أشارت المعاجم اللغوية إلى أن الاستماع يختلف عن السمع في كونه فعلًا إراديًا يتضمن توجّه السامع نحو مصدر الصوت بغية الفهم والإصغاء. فقد ذكر ابن منظور في لسان العرب أن الاستماع يعني الإصغاء المقصود، وأنه لا يُطلق إلا مع وجود نية الانتباه. وتشير دلالات الاستعمال العربي القديم إلى أن العرب تستعمل "استمع إليه" للدلالة على الإصغاء العميق، بينما يُستخدم "سمع" للدلالة على التلقي العام للصوت. ومن هنا يتضح أنّ الاستماع يمثل مرتبة أعلى من السمع، تتضمن المشاركة العقلية واختيار التفاعل مع الخطاب، وهو ما يشكّل الأساس اللغوي الذي بنى عليه القرآن استعمالاته الخاصة لهذا اللفظ.

**الفرع الثاني: دلالات الاستماع في القرآن الكريم ومواضع وروده** يحمل الاستماع في القرآن الكريم دلالات معنوية وروحية عميقة تتصل بفعل الهداية والتلقي الواعي للوحي. وتوضح الآيات أن الاستماع يُعدّ سلوكًا إيجابيًا يقوم به المؤمنون الذين يتلقّون الحق بقلب حاضر، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر ١٨)، وهي آية تربط بشكل مباشر بين الاستماع الواعي وبين العمل بالحق. وتشير كتب التفسير، مثل تفسير الطبري وابن كثير، إلى أن الاستماع هنا يحمل معنى التدبر والنظر في القول، وليس مجرد سماعه. كما يتكرر استعمال

اللفظ في سياق تلقي الوحي، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ (الأعراف ٢٠٤)وهي آية تدل على أنّ الاستماع عبادة تتطلّب ترك المشاغل وتوجيه الحواس والقلب للخطاب الإلهي. وتؤكد هذه النصوص أنّ الاستماع في القرآن يمثل فعلًا مركبًا يجمع بين الإرادة، والانتباه، والفهم، ويعكس القابلية للهدى، بخلاف السمع الذي قد يأتي بمعنى التلقي المجرد. ومن خلال هذه الدلالات، يظهر بوضوح أنّ الاستماع في القرآن وظيفة تربوية تسهم في بناء الوعي الروحي والمعرفي للمؤمن.

## المبحث الثاني: الفروق الدلالية والوظيفية بين السمع والاستماع في القرآن

يمثّل التمييز بين السمع والاستماع في القرآن الكريم محورًا مهمًا في فهم البنية الدلالية للخطاب القرآني؛ إذ لا يأتي اختلاف اللفظين من باب التنويع اللغوي، بل يعكس اختلافًا وظيفيًا مقصودًا يرتبط بطبيعة الإدراك الإنساني ودرجات التفاعل مع الوحي. فالقرآن يوظف الألفاظ بدقة كبيرة، ويتعمّد استخدام كل لفظ في موضعه المناسب ليعبّر عن درجة الإدراك أو الغياب عنه، وعن حضور القلب أو تعطّله. ومن هنا تأتي أهمية هذا المبحث الذي يسعى إلى تحليل الفروق الدلالية بين السمع بوصفه إدراكًا طبيعيًا قد يكون سلبيًا أو غير واعٍ، وبين الاستماع بوصفه فعلًا إراديًا يعكس انتباهًا وقصدًا وتجاوبًا مع الخطاب القرآني. كما يتناول هذا المبحث الأبعاد التربوية والروحية التي يبرزها القرآن من خلال هذا التمييز، ولا سيما في سياقات الهداية، والتذكير، وفهم الرسالة الإلهية. إنّ الوقوف على هذه الفروق يساهم في فهم أعمق لآلية الخطاب القرآني في بناء الوعي الإيماني وتوجيه السلوك البشري نحو التدبر والاستجابة.

### المطلب الأول: الفروق الدلالية بين السمع والاستماع في التعبير القرآني

يُظهر التحليل اللغوي والدلالي للنص القرآني أن الفرق بين السمع والاستماع ليس اختلافًا لفظيًا بسيطًا، بل هو اختلاف جوهري يعكس درجات متعددة من الإدراك والتفاعل مع الخطاب الإلهي. فالقرآن يختار ألفاظه بدقة متناهية، ويحمّل كل لفظ دلالة خاصة ترتبط بالسياق الذي يَرِد فيه. ومن خلال تتبّع مواضع ورود اللفظين في المصحف يتبيّن أن السمع يشير غالبًا إلى الإدراك الحسي العام، وقد يأتي للدلالة على الغفلة أو عدم الانتفاع بالدلائل، بينما يُستعمل الاستماع للدلالة على الفعل الإرادي الذي يعكس الانتباه الواعي والتفاعل المعرفي والروحي مع الوحي. وتؤكد كتب التفسير واللغة أن القرآن قد فرّق عمدًا بين اللفظين لإبراز الفرق بين تلقي الصوت وبين تلقّي المعنى، مما يضفي على الخطاب القرآني بعدًا تربويًا وبيانيًا عميقًا (ابن كثير، ١٩٩٨؛ الطبري، ٢٠٠١؛ ابن عاشور، ١٩٨٤).**الفرع الأول: الدلالة الحسية والمعرفية للسمع في القرآن الكريم**

يُستخدم لفظ السمع في القرآن للدلالة على إدراك الأصوات إدراكًا حسيًا، وهو معنى أصيل في اللغة العربية كما أثبتته المعاجم التراثية. فقد أشار ابن فارس (١٩٧٩) إلى أن الجذر (س م ع) يدل أساسًا على إدراك الصوت، ثم تتفرع منه دلالات الطاعة والقبول. ويأتي لفظ السمع في القرآن للدلالة على النعمة الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ (النحل: ٧٨)، مما يبرز مركزية هذه الحاسة في تكوين الإدراك الإنساني كما يرد السمع في سياقات عدم الانتفاع بالهداية على الرغم من امتلاك القدرة الحسية، مثل قوله تعالى: ﴿لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٧٩)وهو وصف يرى المفسرون أنه يشير إلى تعطيل الوظيفة المعرفية للسمع رغم سلامة الحاسة (ابن عاشور، ١٩٨٤). ويستفاد من هذه الاستعمالات أن السمع في القرآن يمثل مستوى أوليًا من الإدراك، قد يظل قاصرًا عن بلوغ الفهم إذا لم يُدعَم بالحضور العقلي والقلبي، وهو ما يُظهر البعد السلبي للسمع حين يُستخدم بمعنى التلقي غير الواعي أو الإعراض (الطبري، ٢٠٠١).

**الفرع الثاني: الدلالة الإرادية الواعية للاستماع في القرآن الكريم**

يمثل الاستماع في القرآن مرتبة أعلى من السمع، لما يتضمنه من قصدٍ وانتباه وتفاعل مع الخطاب. وقد جاء اللفظ في مواضع تبرز هذه الخصائص، مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر: ١٨)، وهي آية يرى ابن كثير (١٩٩٨) أنها تعكس صفة الانتباه القلبي والعقلي التي تميّز المؤمنين، فلا يقفون عند حدود سماع الصوت، بل يميّزون الحق من الباطل ويتبعون أحسن القول. كما يظهر الاستماع في سياق تلقي الوحي، كما في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ (الأعراف: ٢٠٤)، وهي آية تجمع بين الاستماع والإنصات للدلالة على التلقي الكامل الذي يشمل حاسة السمع والقلب والعقل معًا (ابن عاشور، ١٩٨٤).ويُستفاد من هذه المواضع أن الاستماع فعل إرادي يتضمن توجيه الحواس نحو المعنى، وهو ما يجعل الاستماع في القرآن علامة على الوعي والقبول والتجاوب مع الهداية.وبذلك يظهر أن الفرق الدلالي بين اللفظين ليس فرقًا لغويًا فحسب، بل فرق وظيفي يعكس مستويات مختلفة من الاستجابة للخطاب الإلهي: فبينما يدل السمع على إدراك أولي قد لا يؤدي إلى الفهم، يدل الاستماع على مشاركة واعية تنتج عنها الهداية والعمل.

### المطلب الثاني: الأبعاد التربوية والروحية المترتبة على التمييز بين السمع والاستماع

يُظهر التحليل السياقي للألفاظ القرآنية أن التفريق بين السمع والاستماع لا يقتصر على البنية اللغوية، بل يمتد ليؤسس منظومة تربوية وروحية متكاملة تهدف إلى توجيه الإنسان نحو إدراك واعٍ للخطاب الإلهي. فالقرآن لا يكتفي بالإشارة إلى السمع بوصفه حاسة، بل يربطه بمسؤولية معرفية وإيمانية، ثم يعرض الاستماع بوصفه أعلى درجات الإدراك، حيث يتفاعل الإنسان مع الوحي تفاعلًا قاصدًا ومثمرًا. وتؤكد كتب التفسير والدراسات التربوية الإسلامية أن هذا التمييز ينعكس مباشرة على سلوك الإنسان واستجابته للحق، إذ يُعدّ الاستماع بوابة التدبر والعمل، بينما قد يظل السمع إدراكًا أوليًا لا يثمر هداية ما لم يتحول إلى وعي (ابن كثير، ١٩٩٨؛ ابن عاشور، ١٩٨٤). ومن ثمّ، يتناول هذا المطلب أبرز الأبعاد التربوية والروحية التي يبرزها القرآن من خلال هذا الفرق.

**الفرع الاول : البعد التربوي تنمية الوعي والتلقي المقصود للخطاب القرآني**

يشكّل التمييز بين السمع والاستماع أساسًا مهمًا في التربية القرآنية، إذ يوجّه الإنسان إلى ضرورة الانتقال من الإدراك الحسي إلى الإدراك المعرفي الواعي. فالقرآن يمدح الذين "يستمعون القول فيتّبعون أحسنه" (الزمر: ١٨)، وهي آية تُجمع المصادر التفسيرية على أنها ترسّخ مبدأ الاختيار الواعي للخير بعد تلقي الخطاب (ابن كثير، ١٩٩٨).كما يربط القرآن بين الاستماع وبين التدبر، فيُؤمر السامعون إلى الإصغاء التام عند سماع القرآن: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ (الأعراف: ٢٠٤)،وهي صيغة تجمع بين قصد الاستماع وترك كل ما يشغل عنه، مما يؤسس لبيئة تعليمية قائمة على التركيز والانتباه—وهي قيم ترتبط مباشرة بالمنهج التربوي الإسلامي (الطبري، ٢٠٠١).كما أن الاستماع الواعي يعدّ مدخلًا أساسيًا من مداخل التعلم الإيماني، حيث يوجّه القرآن الإنسان إلى التفاعل مع الخطاب وعدم الاكتفاء بسماع الأصوات. وتؤكد الدراسات التربوية الإسلامية أن الاستماع يُنمّي مهارة الفهم والتحليل والتمييز بين الخطاب الحق والخطاب الباطل، مما يجعله قيمة تعليمية ضرورية في بناء العقل المسلم (الزبيدي، ١٩٩٦).

**الفرع الثاني: البعد الروحي – تفعيل القلب وتزكية النفس**

يرتبط الاستماع في القرآن ارتباطًا وثيقًا بالقلب، إذ يجعله القرآن مدخلًا لليقين، بخلاف السمع الذي قد يكون إدراكًا مجردًا لا يثمر أثرًا. وتظهر الآيات أن تعطيل القلب هو السبب الرئيس لعدم الانتفاع بالسمع، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ... وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٧٩). ويشير ابن عاشور (١٩٨٤) إلى أن السمع هنا يدل على الإدراك الظاهري، بينما غياب الفقه يدل على غياب المعنى الروحي.كما يُبرز القرآن الاستماع بوصفه مدخلًا إلى الإيمان والتأثر الوجداني، إذ تصف آيات عديدة أثر القرآن في نفوس المؤمنين عندما يستمعون إليه، ومن ذلك: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ (المائدة: ٨٣).وقد فسّر ابن كثير (١٩٩٨) هذه الآية بأنها دلالة على الاستجابة الروحية العميقة التي يولدها الاستماع الحقيقي للوحي، وهي استجابة لا تتحقق بمجرد السمع.كما تشير الدراسات الروحية الإسلامية إلى أن الاستماع يعدّ وسيلة من وسائل تزكية النفس، لأنه مرتبط بالإنصات، وحضور القلب، والتهيؤ لتلقي الهداية، مما يُحوّل عملية السماع من نشاط حسي إلى عملية روحية تبني الإيمان (الطاهر بن عاشور، ١٩٨٤).وبذلك يُظهر القرآن أن الاستماع يمثل مستوى أعلى من الارتباط بالله، لأنه يجمع بين الإدراك والتأمل والتأثر، وهو ما يجعل الاستماع أساسًا للعمل الصالح، بخلاف السمع الذي قد يبقى إدراكًا بلا أثر.

## الخاتمة

يكشف التحليل اللغوي والدلالي لمفهومي السمع والاستماع في القرآن الكريم عن ثراء بياني عظيم يعكس دقة التعبير القرآني وقدرته على توظيف الألفاظ بما يخدم المقاصد الشرعية والتربوية والروحية. فالسمع في القرآن لا يُقدَّم بوصفه حاسة فطرية فقط، بل بوصفه مدخلًا أوليًا للمعرفة، قد يكون مثمرًا إذا اقترن بإدراك القلب، وقد يُصبح معطلًا حين يُحجب عن الفقه والتدبر. وعلى الجانب الآخر، يظهر الاستماع بوصفه فعلًا إراديًا واعيًا يعكس حضور العقل والقلب معًا، ويعدّ خطوة أساسية في طريق الهداية؛ إذ يقود إلى الفهم، والتأثر، والعمل.ومن خلال دراسة الاستعمال القرآني للفظين، يتضح أن القرآن لا يفرّق بينهما لغويًا فقط، بل يحمّل كل لفظ وظيفة خاصة ترتبط بطبيعة الإنسان وتجربته الإيمانية، مما يدل على أن إدراك الخطاب الإلهي لا يتحقق إلا بالاستماع الواعي لا بمجرد السمع.

## النتائج

١. الفرق بين السمع والاستماع فرق دلالي ووظيفي؛ فالسمع يدل غالباً على الإدراك الحسي العام، بينما يدل الاستماع على الإدراك الإرادي المرتبط بالانتباه والوعي.

٢. السمع قد يأتي في القرآن بمعنى التلقي غير المثمر، خصوصًا عند وصف الغافلين والكافرين الذين لا ينتفعون بحواسهم رغم سلامتها.

٣. الاستماع يُعدّ من أعلى مراتب التلقي المعرفي، ويرتبط بالهداية والعمل، كما في قوله تعالى: ﴿يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾.

٤. يقدّم القرآن السمع بوصفه نعمة وتكليفًا ومسؤولية، ويربطه بالقلب ارتباطًا وثيقًا، مما يدل على أن الإدراك الحقيقي لا يتحقق إلا بتفاعل الحسّ مع العقل والوجدان.

٥. الاستماع في القرآن يحمل بعدًا تربويًا وروحيًا، إذ يجمع بين الفهم والتدبر والخشوع، ويؤسس لبيئة تعليمية قائمة على الوعي والحضور الذهني.

٦. التمييز بين اللفظين يسهم في فهم مقاصد الخطاب القرآني، ويكشف عن منهج تربوي محكم يهدف إلى نقل الإنسان من مرحلة الإدراك السطحي إلى مرحلة الإدراك الهادف.

٧. التحليل اللغوي للفظين يؤكد شمولية القرآن في بناء الوعي الإنساني، ومراعاته لمستويات الإدراك المختلفة التي يمر بها الإنسان في رحلته الإيمانية.

## التوصيات

١. الاهتمام بتدريس الفروق الدلالية في القرآن الكريم ضمن مناهج العلوم الإسلامية واللغوية، لما لها من أثر في الفهم الصحيح للمعنى.

٢. تعزيز مفهوم الاستماع الواعي في البيئات التعليمية والوعظية، من خلال تدريب الطلاب على الإصغاء والتحليل لا مجرد السماع.

٣. العناية بالتدبر القرآني بوصفه ممارسة روحية تقوم على الاستماع القلبي قبل السمع الحسي، مما يعزز الفهم العميق للنصوص.

٤. حثّ الباحثين على توسيع الدراسات الدلالية التي تربط بين اللغة والسياق القرآني، وإبراز البعد التربوي للألفاظ.

٥. إعداد دراسات مقارنة بين الاستماع في القرآن ومفهوم الإصغاء في العلوم التربوية الحديثة، لبيان تكامل المنهج القرآني مع النظريات التربوية.

٦. الاستفادة من التمييز القرآني بين السمع والاستماع في تطوير مهارات التواصل، وفهم كيفية تأثير الوعي والانتباه في عملية التلقي.

## المصادر

١. ابن فارس، أ. ب. (١٩٧٩). مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام هارون). دار الفكر.

٢. ابن منظور، م. ب. م. (١٩٩٣). لسان العرب. دار صادر.

٣. ابن كثير، إ. ب. ع. (١٩٩٨). تفسير القرآن العظيم (تحقيق سامي سلامة). دار طيبة.

٤. الطبري، م. ب. ج. (٢٠٠١). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق أحمد شاكر). مؤسسة الرسالة.

٥. الطاهر بن عاشور، م. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.

٦. الزبيدي، م. ب. م. (١٩٩٦). تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية.

٧. الزهري، ع. ر. (٢٠٠٧). علم الدلالة القرآنية. دار السلام.